

وَضُوحُ الدِّلِّ عَلَى بَيَانِ السَّبِيلِ

خطبة لفضيلة الشيخ العلامة الهجاهد:

محیی بن علی الحِجَوْرِي

أُقيت يوم: ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٣

بقلعة السنة: دار الحديث السلفية بدهاج الخير

فرغها:

أبو أحمد ضياء التَّيْسِي

- عفا الله عنه -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عَمْرٍاءِ : ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سُورَةُ النَّسَاءِ : ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سُورَةُ الْاِحْقَابِ : ٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سُورَةُ الْاِحْقَابِ : ٧٠ - ٧١]، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار،

أيها الناس! إن الله عليم بما يكن ليضل العباد حتى لبيّن لهم ما يتقون قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سُورَةُ الْاِنشَاءِ : ٢ - ٣] وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١١٥] فهذه حكمة الله ﷻ أن الله يقيم حججه على عباده ويبيّن لهم ما يتقون وما يحذرون وما يضرهم وما ينفعهم في الدنيا والآخرة وأوضح صراطه وأبان هديه وأنزل كتبه وأرسل رسله لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ١٥٣] حذرهم ما يتقونه وأبان سبيله الحق وحذرهم من السبل المتفرقة التي تتفرق بهم عن سبيل الحق وعن جادة صراطه وهديه ووصاهم وصية إلهية ربانية بهذه الوصية العظيمة، ونظير هذه الآية قول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْإِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٨] وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [سُورَةُ الْفَخَالِ : ٨ - ٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيانه وإيضاحه للخلق، فمنهم من يتبع ذلك السبيل المبين ومنهم من يجور

عنه والله في خلقه حكمة ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٢٩ ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ هذا الذي وصل إليهم من العلم القاصر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ٣٠ ﴿سُورَةُ الْبَجْتِ: ٢٩ - ٣٠﴾ فالله أعلم بمن يضل وأعلم بمن اهتدى و﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ٥ ﴿سُورَةُ الْغَاثِ: ٥﴾ ، فلو ضلَّ إنسان في صغيرة أو كبيرة أو دقيقة أو جلييلة سواء كان ضلالاً كلياً مُخرجاً من الإسلام إلى الكفر أو ضلالاً جزئياً مُخرجاً من السنة إلى البدعة فإنَّ الله ﷻ يعلم ذلك منه أو أي ضلال يحصل له حِسِّي أو معنوي، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ٥ ﴿سُورَةُ الْغَاثِ: ٥﴾ ونظير هذه الآية بيان الله ﷻ لعباده أنه هدى أُمماً من خلقه فهدى رُسُلَهُ وأضلَّ من شاء من خلقه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ٣ ﴿سُورَةُ الْإِنشِكَا: ٣﴾ ، ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾ ٦ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ﴿سُورَةُ الْبَلَدِ: ١ - ١٠﴾ أي: طريق الخير وسبيل الخير وطريق الضلال وسبيل الضلال، بصره الله ﷻ به وجعل له سمعاً وأبصاراً وأفئدة وقال الله عن الكفار: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٣٦ ﴿سُورَةُ الْأَحْقَافِ: ٢٦﴾ وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦ ﴿سُورَةُ الْإِنشِرَاءِ: ٣٦﴾ أي: هذه الجوارح التي مكَّنك الله ﷻ منها وأعطاك وأكرمك إيَّاها جعلها حُجَّةً عليك أو لك فيما أن تُسخر هذه النعمة في طاعة الله ﷻ وإمَّا أن تكون عليك شاهدة بضالك: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَقَالُوا لِيُجْلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢١ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِيُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٢ ﴿سُورَةُ فَصْلَتِ: ١٩ - ٢٢﴾.

أُيِّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ وَجَّكَ هدى من شاء من خلقه لاتباع سبيله وكان لهذا الهدى وكان لهذا الهدى عظيم الأسباب فذروا من هداهم الله لسبيله: أنبيأوه ورسله قال الله وَجَّكَ في كتابه الكريم عنهم: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُنْوَكَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ : ١٢] أي: طُرُقنا - طرق الخير- وَبَيَّنْ لَنَا وَأَوْضَحْ لَنَا ما تَتَّقِيهِ وما نَسْلُكُهُ وما نَعْبُدُهُ به وما ندعو إليه ﴿وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا﴾ ولما هداهم الله وَجَّكَ لسبيله وطرق الحق والهدى صبروا وتحملوا في جانب تلك الهداية على ما يحصل لهم من أذى وعلى ما يحصل لهم من بغي عليهم واعتداء كُلِّ ذلك من أجل سبيله فكلُّ ضرر أو سوء يحصل من أجل سبيله يسير؛ ﴿وَلَنْصَرِيكَ عَلَى مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ : ١٢] هدى الله وَجَّكَ لسبيله من آمن بنوره وهداه وأتبع رضوانه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ١٥ - ١٦﴾ أي: طُرُق الخير وسبل الخير كما هدى أنبيأه ورسله ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ١٦] فإذا هدى الله عبداً إلى سبيله ولطُرُق الخير أخرجهم من كُلِّ ظلمة وأدخله في كُلِّ نورٍ وهدى، هدى الله وَجَّكَ من تَأَسَّى بهم وسلك سُبُلهم من المؤمنين وجعل مسلكتهم مُتَّبِعاً ومن خالفهم ضَلَّ قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سُورَةُ النَّبَأِ : ١١٥] فجعل ميزاناً للسلامة من عذاب الله هو سلوك طريق رسول الله ﷺ على سبيل المؤمنين وفهم المؤمنين وهداية المؤمنين وإلا فقد تعرَّض العبد لمهلك وأوكله الله وَجَّكَ إلى نفسه، هدى الله وَجَّكَ من عباده من جاهد من أجل ذلك من أجل نُصْرَةِ دينه من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ : ٦٩] هذا وعد الله الذي لا يُخلف أن من جاهد في الله وَجَّكَ بما يستطيعه من لسانٍ أو قَلَمٍ أو يَدٍ أو جوارحٍ أو سائر من يستطيعه من ظاهر وباطنٍ فإنَّ الله يهديه، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ : ١٧] [١٧] فيقدر ما يسلك سُبُل الهدى بقدر ذلك يهديه الله ﷻ إلى هذا الصِّراط وإلى هذا السَّبِيل القويم الذي من سلكه نجى.

أيُّها النَّاسُ! هدى اللهُ ﷻ من أراد له السَّعادة، من أراد له اللهُ ﷻ له النَّجاة من عذابه هداه من أنبيائه ورسله وسائر خلقه؛ قال اللهُ ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

[سُورَةُ الْجَانثِيَّةِ: ١٨ - ١٩] فمن سلك هذا المسلك هُدي؛ «تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ

عنها إلا هالك»^(١) فهذا صراطٌ واضح؛ سبيل واضح؛ سبيل جليُّ كُلِّ من تنكَّب عنه هلك، ولسلوكة أسباب يَبْنِها اللهُ في كتابه وبيَّنها رسولُ اللهِ ﷺ في سنَّته، إِنَّ هذا السَّبِيلَ سبيلٌ مخفوفٌ بالمكاره كما في الصَّحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٢) واحذر أيُّها المسلم احذر أن تُصدَّ عن هذا السَّبِيلِ؛ سبيل الإسلام؛ سبيل السنَّة؛ سبيل القرآن؛ سبيل نُصرة دين اللهِ ﷻ بأي وسيلة من الوسائل وسبيل من السُّبل وطريق من الطُّرق فإذا رأيت أن هذا يُقرِّب إلى الله فسبيل الله كُلُّ ما يُقرِّب إليه قال اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سُورَةُ يُسُفٍ: ١٠٨]

هذه سبيل رسول الله سبيل جميع أنبياء الله ورسله الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٣٦] قال اللهُ ﷻ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سُورَةُ حُجُرَاتٍ: ٢٦] فمن أشد ما يُبعدك عن هذا

السَّبِيلِ هو الهوى ومجاراة الأنفس ومجاراة الشهوات -يعني من حيث الدليل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سُورَةُ حُجُرَاتٍ: ٢٦] فالذي يُضِلُّك عن [السَّبِيلِ] أيُّها العبد هو مجارات

الهوى ومجارات الشَّيطان والشَّهوات، نعم هذا مسلكٌ خطير؛ هذا هو اللهُ الذي هلك به الكُفَّار قال اللهُ ﷻ:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: ٢٨] هذا كُلُّه بتزوين الشَّيطان وتلك الأُمم كُلُّها التي

(١) أخرجه ابن ماجة: (٤٣) وأحمد: (١٧١٤٢) من حديث العرياض بن سارية ؓ وصحَّحه الإمام الألباني رحمه الله تعالى كما في: (صحيح ابن ماجة) و(السلسلة الصحيحة) برقم: ٩٣٧.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٤٨٧) -واللفظ له- عن أبي هريرة ؓ ومسلم: (٢٨٢٢) عن أنس بن مالك ؓ.

أهلكها الله لأنها صُدَّتْ عن السَّبِيلِ وابتعدت عن جادته وتنكبت عن صراطه فهلك: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سُورَةُ الْحَجُّكَوْنِ : ٤٠] لأنهم تنكبوا لهذا السَّبِيلِ، قال الله ﷻ عن الهدى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كلِّ شئٍ ولها عرشٌ عظيمٌ ﴿٢٣﴾ ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ : ٢٢ - ٢٤] فكلُّ من صَدَّ عن السَّبِيلِ وركب كاهله الشيطان وأبعده لا يرى الهدى لا يرى الهدى بل يرى أنه على جادة الصواب وإن كان يأتي المآثم والجرائم حتى ولو كان بلهو الحديث كما قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الْقُنَاَنَ : ٦] هكذا أخبر الله ﷻ، احذر أيها العبد أن تسلك مسالك المعديين في التنكب عن هذا السَّبِيلِ وفي الصَّدِّ عنه بقليل أو كثير: ﴿وَتَذُقُوا السَّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ : ٩٤] كلُّ من صَدَّ عن سبيل الله متوعد بالسَّوَاءِ من الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾﴾ [سُورَةُ الْحَجُّكَوْنِ : ١] فجميع أعمالهم تصير هباءً منثوراً: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سُورَةُ الْفُرْقَانِ : ٢٣] ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٨٨] فالصَّدُّ عن السَّبِيلِ محبطٌ للعمل إذا كان يُضادُّ دين الله ويقف مرصداً في الصَّدِّ عن سبيل الله؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٨٦] فالصَّدُّ عن سبيل الله هو إرادة العوج والميل عن الدين والميل إلى الهوى والميل عن الزَّيْغ والميل عن القرآن والميل عن السنَّة والجنوح إلى الباطل هذا وعيد شديد مترتب عليه، نعم؛ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٩٩] فهذه صفات الكافرين وصفات المنافقين؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠٠﴾﴾ وإذا قيل لهم

تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴿سُورَةُ النَّسَاءِ : ٦٠ -

٦١ -﴾ هكذا شأن الكُفَّار وهكذا شأن المنافقين الذين توعدَّهم الله ﷻ بهذا الوعيد؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

بِالْحَكْمِ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴿سُورَةُ الْحَجِّ : ٢٥﴾ الصَّدُّ عن سبيل الله خطرٌ عظيم، فالواجب هو

سلوك هذا السَّبِيلِ وابتغائه كما قال الله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ٣٥﴾ الواجب نُصرة هذا السَّبِيلِ ودعم هذا

السَّبِيلِ بأيِّ وسيلة من الوسائل بقدر ما يستطيع الإنسان؛ بنفسه؛ بماله؛ بكلِّ ما يجده: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ ﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ١٦٢ -

١٦٣﴾ هذا السَّبِيلُ يجب الجهاد في نصرته ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ﴿سُورَةُ الْجَنْدُبِ : ٦٩﴾ قال

الله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقْلَقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٣٨﴾

﴿٣٨﴾ قال الله ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ ﴿سُورَةُ النَّسَاءِ : ٥٤ -

٥٥﴾ منهم من آمن بالقرآن وبما جاء بالقرآن ومنهم من صدَّ عنه ووقف له بالمرصاد للصدِّ عنه هذا مُتَوَعِّدٌ بالسَّعِيرِ

كما ذكر الله ﷻ.

[الخطبة الثانية:]

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم في الآخرة والأولى؛ أمَّا بعد:

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُكُمْ عَلَى تَحْرِيفِ نُجُحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿سُورَةُ الصَّفِّ : ١٠﴾ وهذه الدَّلالة ينبغي أن تشرَّبَ لها القلوب وتُشَفَّفَ لها الآذان وتشخص إليها الأبصار فهي

دلالة رب العالمين ﷻ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١)

[سُورَةُ الصَّافَّاتِ : ١١] من كان عنده علم هذا خير له ومن كان لا علم له فإن هذا يعتبره هلكة والهلكة في ضده

كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

[سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٩٥] قال أبو أيوب ؓ: (التهلكة: أننا ذهبنا إلى أموالنا نصلحها وقُلْنَا: قد فتح الله على رسوله

ﷺ فكان ذلك من التهلكة -وما يزال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى قُتِلَ في سبيل الله-) (١).

أيها الناس! إنَّ هذا السَّبِيل هو سبيل الله ﷻ ما خلق الله العباد إلا من أجل سلوكه ومن أجل ابتغاء

مرضاته ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٦] فمن حيي عليه

حيي على سعادة ومن مات فيه مات على سعادة قال الله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ

مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عَمْرٍاءِ : ١٥٧] ثُمَّ أَتَى بِالْمَوْتِ فِي غَيْرِ سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ:

﴿وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِّإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عَمْرٍاءِ : ١٥٨] فالآية الأولى سواءٌ قتل أو مات وهو في

سبيل الله مجاهداً أو مرابطاً فإنه موعودٌ بالمغفرة وهو شهيد والآية الأخرى: ولئن متم لآلى الله تحشرون، فإذا مات

في غير سبيل الله لم يقل: (لَمَغْفِرَةٍ) ولكن تحت مشيئة الله ﷻ على حسب ما عنده من الخير أو الشر، ولكن الأول

الذي هو مذكور بأنه: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذا القيد متوَعِّدٌ بالمغفرة: ﴿لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ

(١) أخرج الترمذي: (٢٩٧٢) قال: (حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي

حبيب، عن أسلم أبي عمران التجيبي، قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين

مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم

حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: (يا أيها الناس إنكم

لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا

لبعض سرا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا

ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ :

١٩٥] ، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو) «فما زال أبو أيوب، شاخصاً في سبيل الله حتى دفن

بأرض الروم». هذا حديث حسن صحيح غريب) والأثر صحَّح إسناده الإمام الألباني رحمه الله تعالى.

مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ «ما اغْبَرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل الله تَمْسُهُ النَّارُ» أخرجه البخاري^(١) من حديث عبد الرحمن بن جبر عن النبي ﷺ، مجرد اغبرار القدم في طاعة الله وفي سبيل الله في أي عملٍ مما يُطلق عليه: (سبيل الله) هذا من أسباب النجاة من عذاب الله ﷻ، «رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها ولموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها»^(٢) رباط يومٍ واحدٍ أو يومٍ وليلةٍ خيرٌ من الدنيا وما عليها كل ذلك يدلُّ على فضل سلوك سبيل الله ﷻ بالنفس؛ بالمال؛ بالجاه؛ بالوقت؛ بكل ما يستطيعه قال الله ﷻ مَبِينًا ما أُنفِقَ في سبيل الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٦١] فهذه المضاعفة كلها لأن هذا في سبيل الله بينما لو كان في غير سبيل الله لكان ذلك من الصدِّ عن سبيله كما يصنع الكفار قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ : ٣٦] هذا يُنفق وفي سبيل الله وهذا يُنفق لمُضَادَّةِ سبيل الله هذا له المضاعفة من الحسنات والجنة وذلك له المضاعفة من الويلات والعذاب والنار وكلاهما يُنفق، قال الله سبحانه: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ : ١ - ٣] الله عباد الله في سلوك سبيل الله ﷻ قولاً وفِعْلاً والحذر من الصدِّ عن سبيل الله سواء كان ذلك بقولٍ أو فعلٍ أو كتابةٍ أو حركةٍ أو سكونٍ حتَّى ولو كان حركة يري منك الإنسان أو تُرى منك - يراها الله ﷻ - منك أنَّها تُخالف دينه فإنَّ ذلك يضُرُّك، الله جعل جميع جوارحك له ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يدفع عَنَّا الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين

(١) برقم: (٢٨١١).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٨٩٢) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.